العلماء إلى النقل بالمعنى عن ابن تيمية فقال: (إنه فيما يظهر قد وقع نقل بالمعنى عمن سبق أن كتب في هذا الموضوع وبدلاً من أن يؤخذ عنه مصطلحه استبدل به هذا المصطلح الذي لم يتواءم مع هذه الأنواع، ولا مع حكمها. .. والمصدر الذي يظهر أن هذه الأنواع نُقلت منه هو رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة (مقدمة في أصول التفسير). وقد وردت هذه الأنواع الأربعة تحت موضوع (**أحسن طرق التفسير**) فهي عند شيخ الإسلام طرق وليست مأثوراً. ولو تأملت النقلين السابقين فإنك ستجد أنهما يحكيان الخلاف في كون تفسير التابعي مأثوراً أم لا، وستجد هذا موجوداً في رسالة شيخ الإسلام، **ولكن البحث فيه ليس عن كونه مأثوراً أم لا، بل عن كونه حجة أم لا؟**. وبين الأمرين فرق واضحٌ، إذ لم يرد عن العلماء هل هو مأثور أم لا؟ لأن هذا المصطلح نشأ متأخراً، بل الوارد هل هو حجة أم لا؟ وإن كان هذا التأصيل صحيحاً، فإن اصطلاح شيخ الإسلام أدق من اصطلاح المعاصرين، وأصح حكماً. فهذه التقسيمات الأربعة لا إشكال في كونها طرقاً، كما لا إشكال في أنها أحسن طرق التفسير، فمن أراد أن يفسر فعليه الرجوع إلى هذه الطرق)[1].

ولعل تحرير القول في هذا الموضوع يقتضي التفريق بين المعنى المعجمي للنقل، والمعنى الاصطلاحي له. فالأول يجعل دائرة النقل ضيقة جدا، إذ يحصرها في تفسير القرآن للقرآن، وبيان السنة الصحيحة الثابتة لما أجمله القرآن الكريم. أما المعنى الاصطلاحي فيجعل النقل أوسع من ذلك حيث يشمل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وبذلك نستطيع أن نفهم كيف تضخم التفسير المعتمد بالأساس على النقل والذي يعرف بالتفسير المأثور. ذلك أن المفسر الأثري لم يقتصر في تفسيره على" ذكر الروايات فقط، ولا تنتهي مهمته عند رصدها فحسب. وإنما تبدو فعاليته في اتجاهه إلى مرويات بعينها ويجمعها حول الآية الواحدة، وفي الترجيح بين هذه المرويات وتفضيل واحدة منها، أو الحكم بضعفها جميعا، والقول في الآية بما يراه في ضوء المسائل المعينة على فهم النص القرآني كأسباب النزول، أو المألوف من كلام

---

[1]– المرجع نفسه.

العرب، أو الرجوع إلى الدلالة اللغوية للألفاظ في عصر النبوة، وغير ذلك مما يعين على القول في القرآن برأي". وهذا يبرز كما سبق أن قلنا خطأ التصنيفات التي تجعل التفسير المأثور مرتبطا بالمعنى المعجمي للنقل، حيث يلغي المفسر عقله ويستخدم حافظته فقط. ويظهر أن هذا مبني على ما سبق من أن التفسير بالمأثور الذي يشمل الأربعة السابقة يقابله التفسير بالرأي. ومن ذلك ما قاله الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله. " أما الذين جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب ألا يعدو ما هو مأثور، فهم رموا هذه الكلمة على عواهـــنهـــا، و لم يوضحوا مرادهم من المأثور عمن يؤثر...". ثم قال: " وقد التزم الطـــبري في تفســـيره أن يقتصر على ما هو مروي عن الصحابة والتابعين لكنه لا يلبث في كل آية أن يتخطى ذلك إلى اختياره منها، وترجيح بعضها على بعض بشواهد من كلام العرب. وحسبه بذلك تجاوزاً لما حدده من الاقتصار على التفســـير بالمأثور.

مصادر التفسير بالمأثور

أولا: تفسير القرآن بالقرآن

إن مصطلح (تفسير القرآن بالقرآن) قد استُعمل بتوسع في تطبيقاته، عند المفسرين خاصة من نصّ على هذا المصطلح أو أشار إليه في تفسيـــره؛ كابن كثير (ت 774هـــ)، والأمير الصنعاني (ت 1182هـــ)، والشنقيطي (ت 1393هـــ) ويبدو أن كل استفادة من آيات القرآن الكريم كالاستشهاد أو الاستدلال بها يكون داخلاً ضمن تفسير القرآن بالقرآن. ومن أمثلة ذلك ما ذكره الصنعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[1] حيث قال: أي قاتلها لعدم إيمان قومك. تكرر هذا المعنى في القرآن في مواضع: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[2] وفي الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا

[1]– سورة الشعراء: 3.

[2]– سورة الحجر: 88.

﴿ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً ۝ ﴾[1]. وفي فاطر: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[2]. ونحوه: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَيٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُهْدِىٰ مَنْ يُضِلُّ﴾[3]. ونحو ذلك مما هو دليل على شفقته على الأمة، ومحبته لإسلامهم، وشدة حرصه على هدايتهم مع تصريح الله له بأنه ليس عليه إلا البلاغ)[4]

ويمكن القول: إنه ليس هناك ضابط يضبط المصطلح المتوسع بحيث يمكن أن يقال: هذا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن وهذا لا يدخل فيه؛ ولذا يمكن اعتبار كتب (متشابه القرآن) وكتب (الوجوه والنظائر) من كتب تفسير القرآن بالقرآن بسبب التوسع في المصطلح. لأن كتب (متشابه القرآن) توازن بين آيتين متشابهتين أو أكثر، وقد يقع الخلاف بينهما في حرف أو كلمة، فيبين المفسر سبب ذلك الاختلاف. وكتب (الوجوه والنظائر) تبيّن معنى اللفظ في عدة آيات، وتذكر وجه الفرق فيها في كل موضع.

أهمية تفسير القرآن بالقرآن.

يعتبر القرآن أول مصدر للبيان والتفسير، لأن المتكلم به هو أولى من يوضح مراده بكلامه. فإذا تبين مراده به منه، فإنه لا يعدل عنه إلى غيره. ولذا عده ابن تيمية أول طريق من طرق تفسير القرآن. واعتبره ابن القيم من أبلغ التفاسير. فيجب الرجوع إلى القرآن لبيان القرآن. لأنه قد يرد إجمال في آية تبينه آية أخرى، وإبهام في آية توضحه آية أخرى وهكذا.

---

[1]– سورة الكهف: 6.

[2]– سورة فاطر: 8.

[3]– سورة النحل: 37.

[4]– مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، للأمير الصنعاني، تحقيق عبد الله بن سوفان الزهراني (رسالة ماجستير، على الآلة الكاتبة) ص71، 72، وانظر: الأمثلة التي سبق نقلها عن الشنقيطي ومحمد حسين الذهبي.

ورغم أن تفسير القرآن بالقرآن يعد أقوى أنواع التفسير، إلا أنه لا يقطع بصحته إلا إذا كان الذي فسر الآية رسول الله أو وقع عليه الإجماع أو صدر عن أحد الصحابة و لم يعلم له مخالف.

وأما ما عدا هذه الصور فإنه لا يجزم بصحته. لأنه اجتهاد من قائله قد يخطئ فيه أو يصيب. إذ رغم كون الطريقة التي سلكها من حيث المبدأ صحيحة. إلا أنه قد يخطئ في التطبيق. وبهذا يتضح أن للاجتهاد مدخلا في هذا النوع من أنواع التفسير[1].

أنواع تفسير القرآن بالقرآن.

تفسير القرآن بالقرآن أنواع كثيرة نذكر أهمها على النحو الآتي:

1 - بيان المجمل[2]

البيان هو تصيير الشكل واضحا. والمجمل يطلقه السلف على ما لا يكنى وهذه في الجمل، وأما أهل الأصول فيعرفونه ب: "ما احتمل معنيين فأكثر من غير ترجيح لواحد من تلك المعاني على غيره.

والبيان باعتبار الاتصال والانقطاع قسمان:

ـــ **البيان المتصل** هو الذي يقع فيه الاتصال بين المبيِّن والمبيّن، ومنه قوله تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ثم بين المشابهة بينهما في قوله: (خلقه من تراب).

– **والبيان المنفصل** هو الذي يقع فيه الانفصال بين المبيِّن والمبين. ومنه قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) ثم بين هذه الكلمات بقوله: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا).

---

[1]– قواعد التفسير جمعا ودراسة. خالد السبت. ص 109. بتصرف.

[2]– المصدر السابق. ص 110.

والإجمال أيضا قسمان:

ـــ **إجمال من جهة الاشتراك في اللفظ:** مثاله قوله تعالى: (والليل إذا عسعس) فقوله: "عسعس": مشترك بين إقبال الليل وإدباره. وقد ورد القسم بإقباله في قوله: (والليل إذا عسعس)وقوله: (والليل إذا يغشاها) وقوله: (والليل إذا سجى). كما جاء القسم بإدباره في قوله: (والليل إذا أدبر) فبعضهم فسره بالأول، وبعضهم فسره بالثاني. والحقيقة أنه لا مانع من الحمل عليهما في قوله "عسعس".

– **وإجمال من جهة الإبهام.** ومن أمثلته: قوله تعالى: (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا..) فأبهم الكلمة هنا وبينها في قوله: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِے ٱلاَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِے ٱلاَرْضِ**﴾[1].

2 – تقييد المطلق[2]:

المطلق: هو اللفظ المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه. وتقييده بأن يلحق به وصف زائد في الحقيقة الشاملة. فلفظ "رقبة" مطلق. فإذا زاد عليه وصف الإيمان يصبح مقيدا. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالِايمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ**﴾[3] حيث أطلق حبوط العمل هنا بمجرد الردة. لكنه جاء مقيدا في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَّرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتَ اَعْمَٰلُهُمْ**﴾[4].

---

[1]– سورة القصص: 5.

[2]– المصدر السابق. ص117.

[3]– سورة المائدة: 6.

[4]– سورة البقرة: 217.

3 – تخصيص العام[1]:

التخصيص: هو قصر العام على بعض أفراده بدليل يدل على ذلك. والعام هو ما استغرق جميع ما يصلح له بحسب وضع واحد دفعة بلا حصر. ومن أمثلة تخصيص العام قوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) خص منه أنواعا من النساء في قوله تعالى: (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم).

4 – أنواع أخرى من تفسير القرآن بالقرآن:

نكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى أسماء بعض الأنواع من تفسير القرآن بالقرآن. ومن أراد التفصيل فليراجعه في كتاب قواعد التفسير للدكتور خالد السبت. وهذه الأنواع هي: البيان بالمنطوق أو المفهوم. وتفسير لفظة بلفظة. وتفسير معنى بمعنى. وتفسير أسلوب قرآني في آية بآية أخرى، أو أن يذكر الشيء في أكثر من موضع ويكون قد ذكره في بعضها موجزا وفي الآخر مما يوضحه فيبين الموجز بالمفصل... وجمع القراءات الصحيحة وحمل ما أمكن منها على الآخر لإيضاح المعنى. والجمع بين ما يتوهم أنه مختلف من نصوص القرآن...

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة (أو التفسير النبوي)

فرق الدكتور مساعد الطيار في كتابه *مقالات في علوم القرآن* بين مصطلحي" تفسير القرآن بالسنة " و"التفسير النبوي "، حيث جعل الأول شاملا لأقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وهو: كل استفادة يستفيدها المفسر من السنة في بيان القرآن الكريم وتفسيره، وهذه الإفادة من عمل المفسر واجتهاده، بينما الثاني خاص بالأقوال والأفعال النبوية فهو: كل قول أو فعل صدر عن النبي ﷺ صريحا في إرادة التفسير، وذلك لأنه يلاحظ فيه إضافته للنبي ﷺ [2]. فالتفسير بالسنة أشمل من التفسير

---

[1]– المصدر السابق. ص118.

[2]– انظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، ص139.

النبوي بهذا الاعتبار، كما أن للاجتهاد مدخلا في تفسير القرآن بالسنة دون التفسير النبوي الخاص بصريح القول والفعل.

ويمكن مناقشة هذه التفرقة بأن التقرير النبوي الصادر عنه ﷺ يضاف إليه ولهذا يقال: فعل أو قال فلان كذا فأقره النبي ﷺ فيعد هذا التقرير نبويا كما يقال في القول والفعل هذا القول أو الفعل نبوي، علما أن العلماء يرون أن التقرير فعل. قال المحلي: ومنها – أي السنة – تقريره لأنه كف عن الإنكار والكف فعل[1]. وبناء على ذلك لو ورد تقرير نبوي يفيد في تفسير آية من القرآن، فإنه يعد من التفسير النبوي لأنه صادر عن النبي ﷺ، وأفاد في تفسير شيء من القرآن.

كما أن تقييد التفسير النبوي بالصريح لا يسلم، بل كل ما صدر عن النبي ﷺ ولو غير صريح وأفاد في تفسير وبيان معنى القرآن فإنه يعد تفسيرا نبويا، وإن كان البيان النبوي للقرآن على درجات ومراتب على رأسها البيان اللفظي الصريح. بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك والقول بّأن "السيرة السنة"[2] التي ينادي بها الأستاذ الشاهد البوشيخي، إذا أكملت، فهي تعتبر تفسيرا نبويا حقيقيا وتنزيلا فعليا للوحي على أرض الواقع، بل تكون آنذاك أفضل تفسير للقرآن، وبها يمكن إعادة بناء صرح الأمة، ووصل أعضائها المفصولة على نور الوحي وبالشكل الذي بني به الجيل الأول.

---

[1]– شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن جمع الجوامع للإمام تاج الدين السبكي، ط دار الرشاد الحديثة 122/2

[2]– يعرفها بقوله: هي السيرة التي تمثل السنة مرتبة ترتيبا تاريخيا الحادثة بعد الأخرى لتحصل القصة كاملة شاملة للرسول ﷺ لا علاقة لها بالكتب والأبواب كما هي مبثوثة في دواوين السنة المختلفة انظر أهمية الدراسات المصطلحية من المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثة في بناء مشروع السيرة السنة ص18.

وبما أن هذه السيرة على الشكل الذي وصفه صاحبها لم توجد بعد فيمكن تعريف تفسير القرآن بالسنة بأنه: ما ورد عن النبي ﷺ صريحا أو غير صريح من قول أو فعل أو تقرير في بيان معاني القرآن الكريم.

أمثلة تطبيقية لتفسير القرآن بالسنة:

أ – مثال السنة القولية: عن أنس بن مالك رضي الله عنه بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ: **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾**[1]. ثم قال: أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك. [2]

ب– مثال السنة الفعلية: جاء في حديث جابر– الطويل– في صفة الحج: حتى إذا أتينا البيت معه ﷺ استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ﴿.... **وَاتَّخَذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى** ... ﴾[3] فجعل المقام بينه وبين البيت... [4] قال الشنقيطي في سياق بحثه لبعض مسائل الحج: أفعاله ﷺ في حجته تفسير لآيات الحج. [5]

---

[1] – سورة الكوثر: 1–2–3.

[2]– أخرجه مسلم في الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة.

[3]– سورة البقرة: 124.

[4]– أخرجه مسلم رقم: 1218.

[5]– أضواء البيان 496/4.

ج – مثال السنة التقريرية: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك. فلقد رأيت النبي يضحك حتى بدت نواجده تعجبا وتصديقا لقوله. ثم قال النبي ﷺ ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ** ﴾[1]. فهذا تقرير نبوي يفيد في تفسير الآية[2].

أنواع التفسير النبوي.

ذكر الدكتور خالد السبت في كتابه قواعد التفسير جمعا ودراسة للتفسير النبوي ثمانية أنواع هي:

1- أن يفسر ﷺ القرآن بالقرآن.

2- أن ينص على تفسير أية أو لفظة وله صورتان:

أولا: أن يذكر التفسير ثم يذكر الآية المفسرة:

ثانيا: أن يذكر الآية المفسرة ثم يذكر تفسيرها.

3- أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.

4- أن يرد من كلامه عليه السلام ما يصلح أن تفسر به الآية مع أن الآية لم يرد لها ذكر في حديثه عليه السلام.

5- سؤال النبي عن آية ثم يفسرها لهم.

6- تفصيل الخلاف الواقع بين أصحابه في معنى آية.

---

[1]- سورة الزمر: 64.

[2]- أخرجه البخاري رقم: 7513.

7- الاكتفاء بمجرد قراءتها لتقرير ما تضمنته.

8- أن يتأول القرآن فيعمل بأمره.

مراتب التفسير النبوي [1].

أ – التفسير النصي اللفظي الصريح: وهو ما ورد من نص لفظي صريح في تفسير الآية. مثاله: عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) ثم قال أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك[2].

ب – التفسير الموضوعي: وهو المستفاد من السنة النبوية في بيان الموضوع الذي تضمنته الآية تقريرا أو تفصيلا دون أن يكون في الحديث تفسير مباشر للآية. مثاله عند قوله تعالى: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكفرين)، تذكر الأحاديث الآتية:

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا [3].

---

[1]– أصول التفسير في مقدمات أصول التفسير لسلمى داود بن إبراهيم مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد: 53 رمضان 1432هـ.

[2]– أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة.

[3]– أخرجه البخاري رقم: 3265 في بدء الخلق.

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم واشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير[1].

– عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ تدرون ما هذا قال: قلنا الله ورسوله أعلم قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها. [2]

ونحوها من الأحاديث الواردة في صفة النار وشدة حرارتها والتخويف منها. وبهذا النوع تتسع دائرة البيان النبوي.

ج – التفسير اللغوي: وهو المستفاد من السنة في بيان المعنى اللغوي للفظة من ألفاظ القرآن مثاله: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقا فقال: مالي أراكم عزين، ثم خرج علينا فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها فقال يتمون الصف الأول فالأول ويتراصون في الصف[3]. فهذا الحديث يفيد في فهم لفظة عزين الواردة في قوله تعالى: ﴿ **فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾** ﴾[4].

---

[1]– أخرجه البخاري رقم: 538 في مواقيت الصلاة.

[2]– أخرجه مسلم رقم: 2768.

[3]– أخرجه مسلم رقم: 430 في الصلاة.

[4]– سورة المعارج: 36–37.

د – التفسير الاستشهادي: بمعنى أن يذكر النبي ﷺ الآية في حديثه من غير أن يكون فيه تفسير مباشر لها وإنما يذكرها على سبيل الاستشهاد لحادثة أو التأكيد والتقرير لحديثه.

مثاله: عن علي بن أبي طالب قال: إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال (ألا تصليان). فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك و لم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ [1] فهذا الحديث يفيد في تفسير الآية بوجه غير مباشر.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان). قال عبد الله ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله جل ذكره **﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا اوْلَـٰٓئِكَ لاَ خَلَقَ لَهُمْ فِى ٱلاَخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾**[2].

هـــ – التفسير العام: وهو عموم سنته القولية والفعلية والتقريرية مما يفيد في بيان شيء من القرآن ولا يندرج تحت شيء مما سبق. فلا غنى للمفسر عن النظر في عموم سنته وسيرته ﷺ وما فيها من التطبيق العملي للقرآن الكريم كما قال سعد بن هشام لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن [3]. قال الإمام الشافعي: جميع السنة شرح للقرآن [4] وقال الإمام الشاطبي: السنة إنما جاءت مبينة للكتاب وشارحة لمعانيه ولذلك قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل

---

[1]– أخرجه البخاري رقم: 1127.

[2]– سورة آل عمران: 77.

[3]– أخرجه مسلم رقم: 746 في صلاة المسافرين.

[4]– نقله السيوطي في الإكليل في استنباط التنزيل 237/1.

إليهم" وقال: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وذلك التبليغ من وجهين: تبليغ الرسالة وهو الكتاب، وبيان معانيه، وكذلك فعل ﷺ، فأنت إذا تأملت موارد السنة وجدتها بيانا للكتاب هذا هو الأمر العام فيها[1].

ويحسن التذكير في هذا المقام بأن بعض الباحثين حاول نظم مجموعة من القواعد التي هي أشبه ما تكون بعناوين جزئية داخل موضوع تفسير القرآن بالسنة كما فعل الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول في كتابه* التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده*، فقد أورد عشر قواعد منها: قاعدة أقسام البيان النبوي مثلا. ولم أجد من صاغ هذه القواعد صياغة دستورية جامعة حسب اطلاعي المتواضع غير الدكتور خالد السبت في كتابه *قواعد التفسير جمعا ودراسة *ولكنه لم يذكر سوى قاعدتين هما:

الأولى: بيان الشارع لألفاظه وتفسيره لها مقدم على أي بيان.

الثانية: ألفاظ الشارع محمولة على المعاني الشرعية فإن لم تكن فالعرفية فإن لم تكن فاللغوية.

ثالثا: تفسير الصحابي.

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مسلما، ومات على الإسلام، ولو تخللت ذلك ردة على الأصح[2].

وليس هناك إحصاء دقيق لعدد الصحابة، وإنما هناك أقوال يستشف من خلالها أنهم يزيدون على مائة ألف، وأشهر هذه الأقوال قول أبي زرعة الرازي: (قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر من الصحابة ممن روي عنه وسمع منه)[3].

---

[1]- الموافقات، 230/3.

[2]- نخبة الفكر، ص57.

[3]- التقريب مع التدريب، 220/2.

واشتهر جماعة من الصحابة بتفسير القران الكريم، حيث نجد الخلفاء الراشدين، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله ابن الزبير، وابن مسعود، وابن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، رضي الله تعالى عنهم أجمعين. ونجد كذلك عائشة أم المؤمنين، وانس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وهذا على تفاوت فيما بينهم قلة وكثرة وتفاوت في الفهم والإدراك. فقد يغيب عن الواحد منهم مالا يغيب عن الأخر. اخرج أبو عبيدة في الفضائل عن انس، أن عمر بن الخطاب يقرا على المنبر "وفاكهة وأبا " فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ثم رجع إلى نفسه فقال، إن هذا لهو التكلف يا عمر[1]. وأخرج أبو عبيدة عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر فقال احدهما: أنا فطرتها ويقول الآخر أنا ابتدأتها[2]. ولذا قال ابن قتيبة: أن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل إن بعضها يفضل في ذلك عن بعض[3].

وقد اعتمد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في تفسير القران العظيم على ما ورد في القران نفسه، وذلك عملا بما فعله نبي الرحمة عليه السلام. فقد ثبت عنه ﷺ انه فسر القرآن بالقرآن، وذلك فيما رواه عنه ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية "الذين امنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم" شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله من منا لم يظلم نفسه. قال انه ليس الذي تعنون، الم تسمعوا ما قال العبد الصالح، إن الشرك لظلم عظيم. إنما هو الشرك[4].

---

[1]- الإتقان 2/ 113.

[2]- نفس المرجع السابق.

[3]- التفسير والمفسرون 36/1.

[4]- رواه احمد والشيخان وغيرهم.

فما جاء مجملا في موضع جاء مبينا في موضع أخرمن القران العظيم، تأتي الآية مطلقة أو عامة، ثم يترل ما يقيدها أو يخصصها. وهذا ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ**﴾[1] الآية عامة خصصت بقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَارُ**﴾[3] الآية مطلقة قيدت بقوله تعالى: ".... إلى ربها ناضرة" ثم اعتمدوا على تفسير القرآن بالسنة. عن عقبة بن عامر سمعت الرسول ﷺ يقول وهو على المنبر: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة. " ألا وان القوة الرمي[4].

وقد أفردت كتب السنة بابا للتفسير بالمأثور عن النبي ﷺ يرجع لها في بابها.

ثم تفسير القران بالفهم والاجتهاد. فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى، و لم يجدوا شيئا في ذلك عن النبي ﷺ اجتهدوا[5] الرأي، لأنهم عرب أقحاح تكلموا العربية سليقة دونما الحاجة إلى قواعد. يحسنون فهمها ويعرفون وجوه البلاغة فيها. ولا شك أن التفسير بالمأثور عن الصحابة له قيمته، حيث ذهب جمهور العلماء إلى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا لم يكن للرأي فيه مجال. فهناك صور من الموقوف[6] في ألفاظها وشكلها، لكن المدقق في حقيقتها يرى أنها بمعنى الحديث المرفوع. لذا أطلق عليها العلماء" المرفوع حكما " أي إنها من الموقوف لفظا المرفوع حكما. ومن تلك الصور أن يفعل الصحابي ما لا مجال للاجتهاد فيه كصلاة

---

[1]– سورة المائدة: 2.

[2]– المائدة الآية 3.

[3]– الأنعام الآية 103.

[4]– أخرجه مسلم وغيره.

[5]– كاجتهادهم في تولية أبي بكر بعد موت الرسول ﷺ وكذا الأراضي المفتوحة في عهد عمر... وغير ذلك من الأمور.

[6]– هو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير.

علي صلاة الكسوف في كل ركعة أكثر من ركوعين. والإخبار عن الملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة. وأن يخبر الصحابي أنهم كانوا يقولون كذا أو يفعلون كذا أو لا يرون بأسا في كذا. وغير هذا من الصور[1].

وأما إذا كان التفسير من رأي واجتهاد الصحابي و لم يسنده إلى النبي ﷺ، فقد اختلف العلماء في الأخذ به. فالزركشي يرى بوجوب الأخذ به لأنهم من أهل اللسان وعليهم نزل القران، وكذلك ابن القيم ذهب إلى أن أقوال الصحابة اقرب إلى الكتاب والسنة من أراء من جاء بعدهم يقول: إن الصحابي إذا قال قولا، أو حكم بحكم، أو أفتى بفتيا فله مدارك ينفرد بها عنا، ومدارك نشاركه. فأما ما يختص به فيجوز أن يكون سمعه من النبي شفاها، أو من صحابي آخر عن رسول الله. وان ما انفردوا به من العلم عنا، أكثر من أن يحاط به. فلم يرو كل منهم كل ما سمعه. وأين ما سمعه الصديق. والفاروق وغيرهما من كبار الصحابة إلى ما رووه. فلم يروى عن صديق الأمة مائة حديث، و لم يغب عن النبي في شيء من مشاهده، بل صحبه من حيث بعث، بل قبل البعثة إلى أن توفي. وكان اعلم الأمة به ﷺ وبقوله وفعله وهديه وسيرته. وكذلك أجلة الصحابة رواياتهم قليلة جدا بالنسبة إلى ما سمعوه وشاهدوه، ولو رووا كل ما سمعوه وشاهدوه لزادوا على رواية أبي هريرة أضعافا مضاعفة، فإنما صحبه نحو أربع سنين، وقد روى عنه الكثير. فقول القائل لو كان عند الصحابي في هذه الواقعة شيء لذكره، قول من لم يعرف سيرة القوم وأحوالهم، فإنهم كانوا يهابون الرواية ويعظمونها ويقللون منها، خوف الزيادة والنقصان. فتلك الفتوى التي يفتي بها الصحابي لا تخرج عن ستة وجوه:

[1]- ينضر تيسير مصطلح الحديث، ص 126- 127.

الأول: أن يكون سمعها من النبي ﷺ.

الثاني: أن يكون سمعها ممن سمعها من النبي ﷺ.

الثالث: أن يكون فهمها من آية في كتاب الله فهما خفي علينا.

الرابع: أن يكون قد اتفق عليه ملؤهم و لم ينتقل إلينا إلا قول المفتي وحده.

الخامس: أن يكون رأيه لكمال علمه بلغة دلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا، أو لقرائن حالية اقترنت بالخطاب أو لمجموع أمور فهمها على طول الزمان من رواية النبي ﷺ، أو مشاهدة أفعاله وأحواله وسيرته وسماع كلامه، والعلم بمقاصده وشهود تنزيل الوحي ومشاهدة تأويله بالعقل. فيكون فهم ما لم نفهمه نحن. وعلى هذه التقارير الخمسة تكون فتواه حجة علينا.

السادس: أن يكون فهم ما لم يروه عن النبي ﷺ واخطأ في فهمه. وعلى هذا التقرير لا يكون قوله حجة. ومعلوم قطعا أن وقوع الاحتمال من خمسة اغلب على الظن من وقوع احتمال واحد معين. هذا ما لا يشك فيه عاقل ولذلك يفيد ظنا غالبا قويا على الصواب في قوله.... . وليس المطلوب إلا الظن الغالب. والعمل به متعين ويكفي العارف هذا الوجه[1].

وينقل عن الأئمة الأربعة كذاك أقوال تدعو في مجملها إلى عدم الخروج عن أقوال الصحابة.

يقول أبو حنيفة: إن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله، أخذت بقول أصحابه آخذ بقول من شئت وادع من شئت منهم، ولا اخرج من قولهم إلى قول غيرهم. فالإمام أبو حنيفة لا يرى رأي واحد معين منهم حجة، فله أن يأخذ برأي من شاء منهم. ولكنه لا يعمد إلى مخالفة آرائهم جميعا. ولعله يعتبر أن اختلاف

[1]– إعلام الموقعين، ج1، ص248 طبع الشيخ منير الدهشة.

الصحابة في حكم الواقعة إلى قولين إجماع منهم على انه لا ثالث. واختلافهم على ثلاثة أقوال إجماع منهم على انه لا رابع. فالخروج عن أقوالهم جميعا خروج على إجماعهم. وأما القول بأن أبا حنيفة يأخذ بقول الصحابي فيما لا يكون إلا نقلا، وتركه فيما يكون اجتهادا فهو قول الكرخي لا قول أبي حنيفة[1].

ويرى الربيع في" الأم" أن الشافعي قال. إن لم يكن في الكتاب والسنة، صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحد منهم، فإن كان قول أبي بكر أو عمر أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد، أحب إلينا وذلك إن لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة لنتبع القول الذي معه الدلالة. [2] فالشافعي رحمه الله يأخذ بالكتاب والسنة، ثم ما يجمع عليه الصحابة وما يختلفون فيه، يقدم من أقوالهم أقواها بالكتاب والسنة، وان لم يتبين له أقواها اتصالا بهما اتبع ما عمل به الأئمة الراشدون لأن قولهم مشهور. وكذلك الإمام مالك في الموطأ يعتمد على فتاوى الصحابة، شأنه شأن الإمام احمد.

وبالمقابل نجد الإمام الشوكاني لا يأخذ بقول الصحابي إذ يقول: والحق انه ليس بحجة فإن الله تعالى لم يبعث إلى هذه الأمة إلا نبيا واحدا محمدا ﷺ وليس لنا إلا رسول واحد، وكتاب واحد، وجميع هذه الأمة مأمور بإتباع كتابه وسنة نبيه، ولا فرق بين الصحابة ومن بعدهم في ذلك فكلهم مكلفون التكاليف الشرعية، وإتباع الكتاب والسنة، فمن قال إنه تقوم الحجة في دين الله عز وجل بغير كتاب الله تعالى

---

[1] – وحجة الكرخي في قوله أن مالا يقال إلا بالنقل كلامهم يقبل فيه لأنه سنة وهم اصدق الناس نقلا عن رسول الله ﷺ أما ما يكون أساسه الرأي فهو اجتهاد واحتمال الخطأ في اجتهادهم تابت إذ ليسوا بمعصومين عن الخطأ وكان يخالف بعضهم بعضا وهم لإخلاصهم كانوا لا يدعون الناس إلى تقليدهم في أقوالهم وكانوا يفرضون الخطأ فيها ولقد كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول في رأيه الذي يكون نتيجة اجتهاد. إن يكن خطا فمني ومن الشيطان وان يكن صوابا فمن الله... إنما الاقتداء بهم يكون بالاجتهاد مثل ما اجتهدوا... أصول الفقه أبو زهرة.

[2] – الأم جزء 7، ص247.

وسنة رسوله ﷺ وما يرجع إليهما، فقد قال في دين الله بما لا يثبت، وأثبت في هذه الشريعة الإسلامية شرعا لم يأمر الله به، وهذا أمر عظيم وتقول بالغ.... اعرف هذا واحرص عليه، فإن الله لم يجعل إليك وإلى سائر هذه الأمة رسولا إلا محمدا ﷺ، و لم يأمرك بإتباع غيره ولا شرع لك على لسان سواه من أمته حرفا واحدا، ولا جعل شيئا من الحجة عليك في قول غيره كائنا من كان، [1].

رابعا: تفسير التابعي

التابعي هو الذي لقي الصحابي وان لم يصبحه[2]. والمقصود به هنا من تلقى التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم. ذلك أنه لما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتقل كثير من أئمة الصحابة إلى الأمصار المفتوحة لتعليم الناس مبادئ الدين الإسلامي فنجد عبد الله بن عباس في مكة حيث اشتهر من تلامذته سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة مولى ابن عباس وطاووس ابن كيسان اليماني وعطاء بن رياح

وفي المدينة أبي بن كعب، ومن أشهر تلامذته زيد بن اسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب القرضي.

وفي العراق ابن مسعود، وأشهر تلامذته علقة بن قيس والأسود بن يزيد والحسن البصري.

منهج التابعين في التفسير

يقول محمد حسين الذهبي، متحدثا عن منهج التابعين في التفسير: وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه

---

[1]– إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الاصولص218

[2]– هذا التعريف هو الذي عليه الأكثرين من أهل الحديث ينظر كلام العراقي في التقييد 317_318 وشرح الألفية 3/45 لا يشترط في التابعي أن يكون مؤمنا حال لقاء الصحابي فقد يراه وهو كافر ثم يسلم بعد ذلك فتح المغيث1/147 وكذلك لا يشترط أن يسمع منه فتح المغيث 1/145.

عن الصحابة عن رسول الله ﷺ، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى. وقد روت لنا كتب التفاسير كثيرا من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير قالوها بطريق الرأي والاجتهاد. و لم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله ﷺ، أو عن أحد من الصحابة، وقد قلنا فيما سبق إن ما نقل عن الرسول وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسروا ما غمض فهمه على معاصريهم ثم تزايد هذا الغموض على تدرج كلما بعد الناس عن عصر النبي والصحابة فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص فزادوا في التفسير بمقدار ما زيد من الغموض، ثم جاء من بعدهم فأتموا تفسير القرآن تباعا معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناحيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن، وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل الدين[1].

وقد اختلف العلماء فيما أثر عن التابعي من تفسير إذا لم يؤثر في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ، أو عن الصحابة أيؤخذ بأقوالهم أم لا ؟

فهناك من الأئمة من قال بوجوب الأخذ بأقوالهم لأنهم غالبا تلقوه من الصحابة وخصوصا كبار التابعين[2]. وهناك من اعتبر اجتماعهم على رأي فلا يرتاب أنه حجة[3] وطائفة ثالثة ترى عدم وجوب الأخذ بأقوالهم لأنهم لم يعايشوا أحوال التنزيل و لم يشاهدوا القرائن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد[4].

---

[1]– التفسير والمفسرون.

[2]– مباحث في علوم القرآن 315.

[3]– تنظر مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص28–29. والإتقان: 179، ج2 .

[4]– مباحث علوم القرآن، ص315.

أشهر كتب التفسير بالأثر:

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (224-310هـ)

يعتبر تفسير الطبري من أجل التفاسير بالمأثور وأعظمها قدراً ذكر فيه ما روى في التفسير عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأتباعهم، وكانت التفاسير قبل ابن جرير لا يذكر فيها إلا الروايات الصرفة، حتى جاء ابن جرير فزاد توجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، وذكر الأعاريب والاستنباطات والاستشهاد بأشعار العرب على معاني الألفاظ.

وطريقته في التفسير أنه يلخص الأقوال التي قيلت في تفسير الآية ثم يذكر بعد كل قول الروايات التي رويت فيه عن الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين، ثم يروى الروايات التي قيلت في القول الثاني ثم الثالث وهكذا حتى يستكمل الأقوال والروايات، ثم يرجح ما يراه ويستدل عليه ويرد الأقوال المخالفة.

وقد حظي هذا التفسير بالقبول والثناء في الأوساط العلمية قديماً وحديثاً. قال النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري. وقال أبو حامد الأسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي.

وقد التزم ابن جرير في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف لأنه كان يرى كما هو مقرر في أصول الحديث أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة والجرح.

ويوجد لهذا التفسير طبعتان طبعة الحلبي كاملة في ثلاثين جزءاً ولكنها غير محققة وطبعة دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر وأخيه محمود شاكر ولكنها ناقصة حيث بدأت من مقدمة التفسير إلى تفسير الآية (**27**) من سورة إبراهيم في ستة عشر مجلداً.

2 – الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت 427 هـ)

وطريقته في التفسير أنه يفسر القرآن بما جاء عن السلف مع اختصاره للأسانيد اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب، كما أنه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر، ويعرض لشرح الكلمات اللغوية وبيان أصولها ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي ويتوسع في الكلام عن المسائل الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام فتراه يذكر الأحكام، والخلافات والأدلة ويعرض للمسألة من جميع نواحيها إلى درجة تخرجه عما يراد من الآية. ويلاحظ عليه أنه يكثر من ذكر الإِسرائيليات بدون تعقيب مع ذكره لقصص إسرائيلية في منتهى الغرابة.

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع.

وقال الكتاني: في الرسالة المستطرفة عند الكلام عن الواحدي المفسر لم يكن له ولا لشيخه الثعلبي الكبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما وخصوصاً الثعلبي، أحاديث موضوعة وقصص باطلة[1].

3 – معالم التنزيل للبغوي (436 – 516 هـ)

تفسير البغوي مختصر من تفسير الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والإِسرائيليات المبتدعة.

---

[1]– راجع التفسير والمفسرون د. الذهبي (1/ 233).

وطريقته أنه يفسر الآية بلفظ سهل موجز وينقل ما جاء عن السلف في تفسيرها وذلك بدون ذكر الإِسناد فيقول قال ابن عباس، أو قال مجاهد وهكذا اكتفاء بذكر إسناده إلى كل من روى عنهم في مقدمة تفسيره، وقد يذكر الإسناد في أثناء التفسير إذا روى بإسناد آخر لم يذكره في المقدمة ويمتاز بأنه يتعرض للقرآن بدون إسراف، ويتحاشى الاستطراد في الإِعراب ونكت البلاغة وغير ذلك من العلوم التي أولع بها المفسرون. ويلاحظ عليه أنه يذكر روايات عن السلف في تفسير الآية ولا يرجح، وينقل عن الضعفاء كالكلبي، ويذكر بعض الإِسرائيليات بدون تعقيب. قال حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن تفسير البغوي: هو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، واختصره الشيخ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن محمد الحسين المتوفى سنة 875 هـ[1].

وقد سئل شيخ الإِسلام ابن تيمية عن أقرب التفاسير للكتاب والسنة؟ الزمخشري؟ أم القرطبي؟ أم البغوي؟ أم غير هؤلاء؟ فقال في فتاواه. وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك[2].

4 – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (701 – 774 هـ)

تفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور. ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير الطبري. اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف. وقد قدم له بمقدمة طويلة هامة تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره. ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في كتابه أصول التفسير.

---

[1]– راجع التفسير والمفسرون د. الذهبي (1/ 235).

[2]– راجع مجموع فتاوى شيخ الإِسلام ابن تيمية (13/ 386).

وطريقته في تفسيره أنه يفسر الآية بأسلوب سهل واضح، ويذكر وجوه القراءات بدون إسراف، ويشير إلى الإعراب إن كان له تعلق بتفسير الآية ثم يفسر الآية بآية أخرى إن أمكن، ويسرد في ذلك الآيات التي تناسبها، وهذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وقد اشتهر ابن كثير بذلك، ثم يذكر الأحاديث المرفوعة المتعلقة بتفسير الآية وما روى عن الصحابة والتابعين في ذلك. ويعنى بتصحيح الأسانيد أو تضعيفها مع بيان سبب الضعف، وترجيح بعض الأقوال على بعض مع توجيه ذلك. وكثيراً ما نجده ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وعبد الرزاق وابن عطية والفخر الرازي وغيرهم ممن تقدمه وقد يتعقب أقوالهم. ومما يمتاز به تفسيره أنه ينبه على ما في تفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات ويحذر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين لبعض منكراتها تارة أخرى، مع نقد أسانيدها ومتونها، ويذكر مناقشات الفقهاء وآرائهم وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام من غير إسراف ولا استطراد.

5 – الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (849 – 911 هـ)

عرف السيوطي تفسيره في مقدمته فقال: فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وتم بحمد الله في مجلدات فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر وسميته: بالدر المنثور في التفسير بالمأثور[1].

ونلاحظ أن تفسير السيوطي هو الوحيد الذي اقتصر على التفسير بالمأثور من بين التفاسير السابقة التي تحدثنا عنها. فلم يخلط بالروايات التي نقلها شيئاً من عمل الرأي كما فعل غيره.

[1]– راجع الدر المنثور للسيوطي: 1/ 2.

التفسير بالرأي: مفهومه. أنواعه. مصادره

مقدمة:

يعتبر التفسير من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة. ولذلك اعتكف علماؤنا على خدمة القرآن الكريم، تفسيرا وإعرابا، وبيانا واستنباطا للأحكام. وقد جرت عادة العلماء على تقسيم التفسير من حيث الجملة إلى قسمين: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. فما مفهوم التفسير بالرأي ؟ وما هي أنواعه ومصادره ؟

أولا: مفهوم التفسير بالرأي.

لتعريف " التفسير بالرأي" لا بد من معرفة مكوناته، أي المفردات التي يتكون منها، وهي لفظ التفسير ولفظ الرأي. وحيث إن مصطلح التفسير قد سبق تفصيل الكلام فيه بما فيه كفاية في الصفحات الأولى المتعلقة بدراسة المصطلح والمفهوم. فإن حديثنا سيقتصر فقط على التعريف بمصطلح "الرأي"، ثم بعد ذلك نعرف الضميمة المؤلفة من (التفسير والرأي).

1– تعريف الرأي في اللغة

قال ابن فارس: الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي ما يراه الإنسان في الأمر. وجمعه الآراء [1].

والرأي: الاعتقاد والعقل والتدبير والنظر والتأمل. يقال رأيته رأي العين حيث يقع عليه النظر والرأي[2]. وجاء في مفردات

---

[1]– معجم مقاييس اللغة لإبن فارس. حرف الراء. تحقيق ع. السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ص: 381.

[2]– المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد ع. القادر، محمد النجار/ج1/ ص: 320.

الراغب الأصفهاني: الرأي " اعتقاد أحد النقيضين عن غلبة الظن. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[1] أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثيلهم[2].

2 – تعريف الرأي في الاصطلاح

يطلق الرأي في الاصطلاح على الاجتهاد، ومنه أطلق على أهل الفقه: أصحاب الرأي[3]. وعلى هذا فإن التفسير بالرأي هو التفسير بالعقل والاجتهاد.

ويطلق الرأي عند الدكتور محمد الحسين الذهبي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس. ومنه أصحاب الر أي: أي أصحاب القياس[4].

وقال بعضهم الرأي: هو إجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها المطلوب[5].

3 – تعريف التفسير بالرأي.

عرفه الدكتور الحسين الذهبي بقوله: "التفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر[6].

---

[1]– آل عمران، الآية: 13.

[2]– مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، الطبعة2 (1423هـ– 2002م) تحقيق صفوان عدنان، ص: 375–376.

[3]– أصول التفسير وقواعده د. خالد عبد الرحمان العدد، الطبعة2 (1406هـ –1986م) دار النفائس، ص: 167.

[4]– التفسير والمفسرون للحسين الذهبي، الجزء 1، الناشر المكتبة وهبة، ص: 183.

[5]– الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي، الجزء 1/ تحقيق عدنان الدووس، محمد المصره، مؤسسة الرسالة بيروت، ص: 480.

[6]– التفسير والمفسرون للحسين الذهبي، مرجع سابق، ص: 183.

وعرف الشيخ خالد العك التفسير بالرأي – أو التفسير العقلي- بقوله: "يعتمد على الفهم العميق المركز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفهم دلالاتها"[1].

يتبين إذن أن التفسير بالرأي يقوم على اجتهاد المفسر، وإعماله عقله، وبعد نظره، وإجالة رأيه، وتقديم خلاصة ذلك في تفسير القرآن وبيان معانيه واستخراج دلالته وأحكامه. والتفسير بالرأي يقابل التفسير بالمأثور، ويسمى التفسير العقلي، لأنه يقوم على إعمال العقل والتفكير في التفسير. في مقابل التفسير النقلي الذي يقوم على نقل الروايات المأثورة في التفسير. ويسمى أيضا التفسير النظري، لأنه ينتج عن النظر العميق في القرآن لاستخراج الأحكام والدلالات. في مقابل التفسير الأثري القائم على الأثر والنقل[2].

4 – حكم التفسير بالرأي

اختلف العلماء، قديما وحديثا، في حكم تفسير القرآن بالرأي: فمنع قوم القول بالرأي في القرآن الكريم وأجاز ذلك قوم آخرون. ولكل أدلته وحججه التي سنذكرها ونناقشها تباعا على النحو الآتي.

أولا: المانعون وأدلتهم

لقد استدل فريق المانعين للتفسير بالرأي بأدلة كثيرة، وحجج متعددة، منها:

1 – قوله تعالى: ﴿**قُلِ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالِاثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾**﴾[3].

---

[1]– أصول التفسير وقواعده لخالد العك، مرجع سابق، ص: 176.

[2]– تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، للدكتور صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي، الطبعة 3، دار القلم دمشق، ص: 415.

[3]– سورة الأعراف: 33.

2 – وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾[1].

3 – وقوله تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً).

ففي هذه الآيات نهي وتشنيع على القول على الله بغير علم. إذ في الآية الأولى جعله من المحرّمات، وفي الآية الثانية جعله من إتباع خطوات الشيطان، وفي الآية الثالثة جعله منهياً عنه. وفي هذا كلِّه دليلٌ على عدم جواز القول على الله بغير علم. والتفسير بالرأي قول على الله بغير علم. لأن غاية ما يوصل إليه الرأي الظن ولا يفيد العلم. وبالتالي فالتفسير بالرأي منهي عنه.

4 – ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمَن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومَن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[2].

5 – ما رواه الترمذي وأبو داود عن جُندب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[3].

6 – ما ورد عن السَلَف من الصحابة والتابعين من الآثار التي تدل على أنهم كانوا يُعَظِّمون تفسير القرآن ويتحرَّجون من القول فيه بآرائهم. ومن ذلك:

---

[1]– سورة البقرة: 208.

[2]– رقم الحديث 2951 قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وقد ضعف الحديث العلامة الألباني

[3]– رواه الترمذي (2952) وقال: حديث غريب، وأبو داود (3652) عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه. وضعف إسناده الألباني في" ضعيف الترمذي" (571).

ما جاء عن أبي مُليكة أنه قال: سُئل أبو بكر الصِدِّيق رضي الله عنه في تفسير حرف من القرآن فقال: "أي سماء تظلني، وأيُ أرض تقلني، وأين أذهب، وكيف أصنع إذا قلتُ في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى"[1] ؟

وما ورد عن سعيد بن المسيب: أنه كان إذا سُئل عن الحلال والحرام تكلَّم، وإذا سُئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئاً[2]. وغير هذا كثير من الآثار الدالة على المنع من القول في التفسير بالرأي.

مناقشة هذه الأدلة

وقد تعقب المجيزون هذه الأدلة بما يلي:

1- إن الظن نوع من العلم، إذ هو إدراك الطرف الراجح. ثم إن الظن منهي عنه إذا أمكن الوصول إلى العلم اليقيني القطعي، بأن يوجد نص قاطع من نصوص الشرع، أو دليل عقلي موصل لذلك. أما إذا لم يوجد شيء من ذلك، فالظن كاف لاستناده إلى دليل قطعي من الله سبحانه وتعالى على صحة العمل به. قال تعالى: (لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا). وقوله عليه الصلاة والسلام: "جعل الله للمصيب أجرين وللمخطئ واحداً "، ولقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "فبِمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسُنَّة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يُرضي رسول الله"[3].

2- إن الحديث الأول فيه مقال من حيث الصحة، قال العلامة الآلوسي في خطبة تفسيره بعد أن ساق هذا الحديث بروايتيه معللا عدم صلاحية الحديث

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. باب ما جاء في الوعيد في تفسير القرآن بالرأي.

[2]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. باب ما جاء في الوعيد في تفسير القرآن بالرأي

[3]- أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي رقم الحديث 1327، وأخرجه أبو داود في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء رقم الحديث 3592.